«إننا على ظهر سفينة هائلة كالتنين الضخم ، وقد اقتلعت الأمواج العاتية دفة هـذه السفينة ، وحطمت الرياح الثائرة ساريتها . فالسفينة الآن ضالة فى المحيط ، تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، مثلها مثل الأرض السابحة فى الفراغ ! وهى تسير بالمصادفة والاتفاق وتضرب ضرب عشواء ، مدفوعة بالرياح السوافى ، كأنما هى حطام هائل يحمل فوق ظهره الناس ... وقد تصل هـذه السفينة إلى هدف مجهول ، أو غاية غير معلومة ، فتبلغ الإنسانية غرضا لم ترم إليه من تلقاء نفسها . ولـكن ليس ثمة يد تقودنا ، ولا عين ترعانا ؛ والدفة قد تحطمت منذ زمن بعيد ، بل لعلها لم توجد يوما ما ، فعلينا أن نصنع هـذه « الدفة » ؛ وتلك مهمة خطيرة ، ولـكنها عملنا ، ومن واجبنا أن نقوم بهذا العمل » .

نحن إذن فى دور اضطراب وصراع ، فلابدّ لنا إذن من أن نفكر بحرية فى الطريقة التى نخلُص بها من هذه الفوضى . والحرية التى يدعو إليها جويو ليس معناها الفوضى ، وإنما هى حرية تنطلق معها النفوس من نير العبودية ، كما انطلقت الأجسام من نير الرق القديم . العالم — اليوم — يتحرّق شوقا لهذه الحرية ، فقد ظل الفكر أمداً طويلا حبيس الأنفاس ، لا يُفكّ إساره إلا بالقدر الذى يهيىء له أن يسير بضع خطوات فى حظيرة الإيمان الضيق ! ولـكننا نريد أن ينطلق الفكر كما يشاء ، حرًّا لا تقيده سلطة ، ولا تردّه قوّة ، اللهمّ إلاّ سلطة المنطق ، وقوة المعقول !

(السويس) **زكريا ابراهيم**

أدب الشام الحديث

للسيدة وداد سكاكينى

منذ القدم اقتسمت بلاد العرب أدبها الأصيل ، فـكان لـكل قطر شعراؤه وأدباؤه . وكان الشعر فى آثار العرب الثقافية أول ما جاد به دهرهم وأطل من آفاقهم ، فكان فى الجاهلية موزعا بين قبـائل وعشائر لـكل منها شاعرها الذى يحمى ذمارها ويروى أخبارها ، وكأن لنجد شعراؤها كما كان للحجاز أندادهم من أهل التراعة والبيان . بيد أن الأدب الذى انتهى إلينا منهم والشعر الذى أثر عنهم لم يكن بتلك القسمة فى عهود الجاهلية متميزاً بعضه من بعض ، إذ كان نسيج القصائد فى تلك الفترات متشابها ، ولم يستطع دراس الأدب من قدامى ومحدثين أن يكتنهوا الفروق بين أولئك الشعراء ، فالجزالة والفحولة حتى فى شعر النساء كانت شركة بينهم ، وسلامة الطبع والجبلة موهبة فيهم ، والسذاجة والبعد عن التكلف من سجاياهم ، أما الفروق الفنية فقد بدت فى الشعر والنثر بعد الإسلام ، فـكان شعراء أمية السياسية فى طبيعة قصائدهم غير شعراء الحجاز الغزل . وقضى الأمر فى قسمة الأدب بين البلاد العربية فى العصور العباسية ، فظهرت الميزات والعلامات بمياسم أكثر انطباعا وأشد وضوحا ، فاذا للعراق أدب فياض شاعت فى مجاليه مطارحة الندامى وأغانى القيان ومجون الشاربين . وإذا للأندلس طائفة من الشعراء انسرح خيالهم ، ورق شعورهم ، فابتدعوا الموشحات والمقطوعات ، وخلعوا على أدب العرب وشاحا هفهافا ، وفى نسمات الوادى الـكبير ، أطلقوا فى ثناياه أعنة الخيال من روح الأدب الغربى الذى رف عليهم ومن صوب الإسبان أو عبر نحوهم من جبال (البرنيه) .

وكان ثمة شعر مطبوع وأدب بهيج الألوان ، نجما فى آفاق الشام ، وقد تنتهما دارات غسان ورعتهما ضفاف بردى ، ورفت بهما أفانين (جلق) بغوطتها الخضراء كيوم العصابة التى درّ درها ونادمها حسان فى الزمان الأول ، فقد عرفت الشام بلون من الشعر سماه المعاصرون من عرب ومستشرقين بالطريقة الشامية ، وهو ضرب من البيان ظهر فى آثار أبى تمام والبحترى وأبى العلاء فيه اللفظ البليغ والصناعات ذوات التحاسين ، حتى بات شعر الشام ، كعصب اليمن ، أفوافه مزركشة ومطارفه منمنمة ، فكأنه نمارق على أرض أو ديباجة على جدار

وإنى إذ أرسم صورة لأدب الشام ، لا أقول بالاقليمية العصبية ولا أغلو فى الرأى والتصوير ، وإنما أقصد إلى تلك المزايا التى اختص الله بها كل بلد من الأرض ، لجعل فيها البيئة ذات خلق وتكوين ، تؤثر فى سكانها وتطبع المرء بمزاجها ، فتجعله حسب أطوارها ومقتضاها

من خطرات هذا الرأي ما صوره الشاعر ألفريد دوموسيه ، فان له رواية سماها « الكأس والشفاه » وصف فيها رجالا من سكان التيرول يحبون الشعر ويروى سيرته ، فمرضه الشاعر تعاريض أولئك الأشداء الذين سكنوا فى الأرض القاسية ، فعلوا شم الجبال على صهوات خيولهم ، ولم تتطامن أخلاقهم كأولئك الذين سهلوا إذ سكنوا فى السهول

وما ينكر المنصف أن الأدب كالمخلوق الحي يسمو ويصح وتسرى فى أعراقه دماء تعطيه العارفون فيه الأصالة والامتداد التى تخضع لنوازع ثقافية وأحداث اجتماعية وسياسية

فأدب الشام الحديث هو من هذا القبيل أدب عربى الوجه والروح وقد صقله الفن والتطور وطورت عليه مغارس الوطن ، ولم يولد هذا الأدب ولادة ارتجال ، وإنما فتحت الشام العيون بعد الحرب الماضية على حركة فكرية جديدة ويقظة ثقافية بلغها شذاها من ضفاف النيل فودت لو أتاح لها العصر مثيلا ، وكانت مثل سجين لم يجد أرفه لنفسه وأقرب إلى قلبه من أدب المصريين فتأثرت الشام بهضتهم ومضت على غرارهم فى نشأتها الحديثة . وكم راجت فيها سوق الأدب بقصيدة لشوقى أو حافظ ، ولكتاب لعبد الله المنفلوطى أو الرافعى ، وكان فى تلك الآونة نفر من الشاميين متنورين لكل نهضة ، بعضهم عرف القرب وورد مصر ورود النحل على الأزاهير ، ثم صدر عنها فعاد إلى الشام ينشئ المجلات وينشر الصحف ويحاضر فى المجامع والندوات داعيا إلى نشر الثقافة والأدب . وأسس المجمع العلمى العربى فى دمشق على الفصحى وحفاظ أمجادها وذخائرها فجمع بين لغوى مدقق وعالم فيلسوف ومؤرخ محقق وشاعر أديب ، ورفدت أعماله مجلة ذاعت فى أقطار العرب . وكان من السوريين شعراء قد استيقظوا بعد الحرب الثائرة على صيحات البعث والتحرر والتجديد فأخذوا بشيء من القصيد كأنه الينبوع يفيض حينا وينضب حينا ، وفيهم من حذا حذو جرير والأخطل حتى قلدهما فى حلية القريض ، ومنهم من أدمن الإلمام بالمتنبى حتى سرى فى بيانه روح أبى الطيب وعنجهيته . وكما كان فى كل بلد أدب للشيوخ وأدب للشباب فكذلك حدث فى أدب الشام ، وليس بين الفريقين تنابذ وجفاء ، فالشيوخ رسخ مجهودهم فى اللغة والعلم والبحث ، والكهول والفتيان امتلأت نفوسهم بالأمل والطموح ، واكتسبوا بالتحصيل ما بدوا به الأوائل ، فقد جمع بعضهم بين الثقافتين الغربية والعربية ، فانبعثوا وراء المثل العليا يسترشدون بالهداة ويتأثرون أعلام هذه النهضة التى نوروها من قريب ومن بعيد

وإن فى أدب الشام الحديث لألوانا وفنونا ، ففى الكتابة والإنشاء فريق لو أتيح لهم دور نشر وطباعة تبث آثارهم فتذيعها فى الناس ، أو لو كانت صحفهم تجاوز آفاقهم ، لشاع صيتهم ؛ وفى هذا مثلا مواهب فنية فى النقد والقصص ، ولولا إيثار أصحابها لوظائف الدولة لأثر عنهم كل أثر نفيس

إنه لأدب طريف الألوان أصيل السمات ، ولكنه ضئيل الحزم ، قليل الشيوع ، متئد الخطوات . وفى مصر أدب جبار قيضت له أسباب الانتشار والازدهار ، والشام سوق لهذا الأدب المصرى بأكثر مما هى فيه لأهلها ، فلو سئل المثقف أو المتعلم فى ديار الشام عن مصر وأدبائها وكتبها وعلمائها ، لأجاب بما يعجب ويطرب ، إذ أن أدب مصر يعيش فى تلك الديار منذ ثلاثين عاما كما يعيش فى حى الأزهر وتحت قبة الجامعة ؛ وفى ندوات الثقافة المصرية ، غير أن مصر التى يحمل بها عتاب الحبيب لا تعرف من أدب الشام إلا القليل ، وكلتا الشقيقتين على حق فيما ترى بهذا الشأن .

ولعلى أتحدث قريبا عن فنون هذا الأدب مزوداً بذكر أعلامه وكاتبيه وأهل القصة والنقد فيه

وداد سكاكيني

ظهر كتاب

الفاروق عمر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمن النسخة ٤٠٠ أربعمائة مليم
وللبريد ٨٣ مليم

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا — القاهرة
ت ٥١٣٩٤